١١ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ على الليثى

سيّد الندماء

ولد سنة ١٢٣٦ ، كما تحققته من بعض أفراد أسرته ، كان فى ابتداء أمره مقيما بمسجد الامام الليث ، وكان ينزل الى الأزهر لطلب العلم ، ويعود للمبيت هناك ، وكان كريماً على فقره . ثم ورد على مصر الشيخ السنوسىّ الكبير قاصداً الحجّ ، فاتصل به ، وأخذ عنه الطريق وحجّ معه ، ولما عاد الى مصر لم يفارقه . بل سافر معه الى جغبوب ، وأقام هناك مدة لم يفتأ فيها يطلب العلم ويستفيد . ثم فارقه وعاد لمصر ، واتصل بأمّ عبّاس باشا الوالى فجعلته شيخاً على مجلس دلائل الخيرات عندها . ثم اتّصل أيضاً بالأمير أحمد باشا رفعت بن ابراهيم باشا الكبير . فاعتقد فيه ، وأطلعه على خزانة كتب عنده ، فاطّلع على ما فيها واستفاد منها . وبسبب سفره الى جهة المغرب اتهموه بمعرفة الزايرجة والأوفاق ، فلما تولى سعيدباشا على مصر ، أمر ضابط مصر عبده باشا بجمع من يأكلون أموال الناس بالباطل بهذه الخزعبلات ، ونفيهم الى السودان ، فسيق المترجم معهم لما علق به من هذه التهمة ، فبقى فى السودان الى أن عفى عنه وعاد لمصر .

ولما تولى اسماعيل باشا على مصر ، تلألأ نجم المترجم ، وبدأ سعده ، فاتصل به ، وقربه هو والشيخ علياً أبا النصر ، وجعلهما نديمين له كنديمى جذيمة ، وصار لا يصبر عنهما فى مجالس أنسه ، فكانا إذا حضرا تلك المجالس أزاحا الكلفة وتبسّطا معه فى القول والتنديد ، فكانت لهما فى ذلك من النوادر ما يملأ الأسفار . وقد بلغ من شغفه بهما أن خصص لهما قاعة بديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين فيه . وحدث مرّة أن أمر بكتابة ألواح على باب كل قاعة فى الديوان ، ليُعرف من بها ، كقلم التشريفات ، وقلم التحريرات ونحوها ، وسألهما العامل عمّ يكتبه على قاعتهما ، فقال المترجم أكتب عليها : إنما نطعمكم لوجه الله . وبسبب تقرّب المترجم من الخديو قصده الناس فى الشفاعات عند الكبراء ، ونفع الله به خلقاً كثيراً ، جزاه الله عن مسعاه خير جزاء .

ثم لما عزل الخديو ، وتولى ولده محمد توفيق باشا ، شغف أيضاً بالمترجم وأحلّه محلّه من القبول . حتى كانت الفتنة العرابية وسفر الخديو الى الاسكندرية ، فانضمّ المترجم الى العرابيين اضطراراً أو اختياراً ، فلما عاد بعد الفتنة لم يؤاخذه ، وصفح عنه ، وقابله المترجم بقصيدة مطلعها .

كل حالٍ لضده يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعوّل

تبرأ فيها من الفتنة ، وأبان عذره فى الانضمام الى العرابيين ، وزاد بعد ذلك من الخديو قربا ، وخصوصاً لمّا بنى قصره بحلوان ، فانه كان اذا سافر اليه كل اسبوعين ، ركب من هنا سفينة بخارية وذهب بها الى ضيعة المترجم التى بشرق أطفيح ، فيقيم عنده يوما ويتغدى فيها ، وهو شىء لا يفعله مع غيره . ولهذا السبب اعتنى المترجم بتلك الضيعة ، فغرس فيها البساتين والكروم ، وبنى قصراً صغيراً لنزول الخديو ، وحرمه وحاشيته ، ولم يزل هذا شأنه معه حتى مات الخديو ، فلم يكن له حظّ مع ولده عباس باشا ، كما كان مع أبيه وجدّه ، فجعل أكثر اقامته بتلك الضيعة ، يشتغل باستغلالها ومطالعة كتبه ، فاذا حضر لمصر نزل بداره التى بجهة باب اللوق ، فيقيم بها أياماً . ثم يعود ، ولم يزل كذلك حتى اعتلّت صحته وطال مرضه أشهراً ، حتى توفاه الله الى رحمته فى يوم السبت ١٠ شعبان سنة ١٣١٣ عن سنّ عالية ، وقد شبع من الأيام وشبعت منه ، ونال من العز والجاه الى مماته مالم ينله غيره

وكان رحمه الله آية فى حسن المجالسة ، محبباً الى القلوب ، أديباً شاعراً ، حاضر الجواب ، فكه الحديث ، اذا عرفه انسان تعلق به ، وكره مفارقته ، مع أنه كان دميم الصورة ، أطلس ، ليس فى وجهه إلاّ شارب خفيف ، وشعرات على ذقنه . ولما حضر لمصر السلطان برغش ملك زنجبار ، ندبه الخديو اسماعيل باشا لمرافقته ومجالسته ، فلازمه مدّة مقامه بالقاهرة ، وأعجب السلطان به اعجابا شديداً . ثم لما عاد لبلاده ، صار يتعهّده بالرسائل والهدايا من العنبر ونحوه كلّ سنة ، فيهدى هو بها أخصّاءه وأصحابه . وكذلك ما كان ينتج ببساتينه من غرائب الفاكهة ، وأصناف

الأعناب النادرة ، كان موقوفاً جميعه على الهدايا لا يبيع منه شيئاً . واقتنى خزانة كتب نفيسة اجتمعت له بالاهداء والشراء ، والاستنساخ وغالى فيها ، وبذل الأثمان العالية ، فجلبت له من الآفاق وعرفه نجار الكتب والورّاقون فحصوه بكل نفيس منها . ثم لما مات اقتسمها ورثته ، وبقيت الى الآن محبوسة تحت أيديهم لا ينتفع بها .

وكان أدباء مصر وفضلاؤها يقصدونه فى تلك الضيعة ، فينزلهم على الرحب والسعة ، ويقيمون عنده الأيام والأشهر ، وهو مقبل عليهم بكرم خُلُقه ولطائفه ، ومحاضراته المستحسنة ، وقد يقيم الانسان عنده شهراً أو أكثر ، وهو يؤنسه كلّ يوم بحديث جديد لا يعيده . وبالجملة فقلّ أن يوجد مثله ، أو يجتمع لانسان ما اجتمع له ، مع الورع والتقوى خصوصاً فى أواخر أيامه رحمه الله رحمة واسعة .

الشيخ محمد شهاب الدين

المصرىّ الشاعر

شريف النسب اشتغل أولاً بالقبانة ، ثم دخل المحكمة الشرعية تلميذاً للتعلم ، ومال للأدب ، ونظم الشعر ، وداخل الأعيان حتى اتصل بعباس باشا والى مصر ، وتقرب اليه ومدحه بالقصائد فأحبه وقرّبه حتى صار كبير جلسائه وندمائه ، وجعل له فى كل قصر من قصوره حجرة يبيت فيها الليلتين والثلاث اذا طلبه للمجالسة والمنادمة ، وأفاض عليه من نعمه ، وقبل شفاعته حتى صار له بذلك جاه طويل عريض ، وله معه نوادر غريبة ، منها أن المترجم كان جالساً فى حجرته مرة فى أحد القصور ، ومعه بعض جلساء الوالى ينتظرون الاذن بالدخول اليه ، فقال فى عرض كلامه : يقولون إنّ البغلة لا تحمل ، أفلا يكون ذلك بسبب رطوبات أو ما أشبهها تعيق حملها ؟ وعند أفندينا أطباء كثيرون ، فلو أنه أطال الله بقاءه أمر بعضهم بالبحث فى سبب هذه العلّة وازالتها ، فلست أشك فى أنها تحمل بعد ذلك . وأسرع بعض العيون ، فبلّغ عبّاسا باشا كلامه ، فجاءه بعد هنيهة أحد رجال القصر يقول له : يا أستاذ يقول لك أفندينا أننا سنأمر الأطباء بما أشرت ، ولكن إذا لم تحمل البغلة ماذا يكون ؟ فبهت القوم لنقل المجلس بهذه السرعة إلاّ المترجم ، فانه وقف وقال : بلّغ أفنـــدينا أنّ عبده شهابا له كذبتان كل سنة أيام الباذنجان ، هذه إحداهما .

وكان رحمه الله رقيق المزاج ، أنيس المحضر ، لا يملّ جليسه من نوادره ، وتعلّق بعلم الموسيقى فبرع فيه ، وأخذه عنه كثيرون وجمع فيه كتاباً سمّاه سفينة الملك . وله ديوان شعر طبع بمصر ، وكانت وفاته سنة ١٢٧٤ .

الشيخ محمد أبو الفتح الحنفى

مفتى الاسكندرية

ولد فى أوائل القرن الثالث عشر ، وطلب العلم بالأزهر على الشيخ الصاوى وغيره من شيوخ الوقت ، ثم انتقل لرشيد وتزوج بها بنت السيد عباسى من مشهورى رشيد . وكان ملازماً للشيخ محمد البنا الكبير ، فلما انتقل الشيخ الى اسكندرية انتقل المترجم معه وبقى بها وانتخب أميناً لفتواها ، وكان مفتيها إذ ذاك الشيخ الدويرىّ ، ثم لما مات الدويرىّ تولى البناء الافتاء فنقل المترجم لمنصب آخر ، ولما مات البنا تولى هو إفتاء الثغر وبقى به الى أن مات . وكان له شغف زائد بجمع الكتب واقتناء نفائسها ، حتى اجتمعت له خزانة نفيسة بيعت بعد موته بثمن بخس . وكان رأى بناته وزوجته ابقاءها فلم يرض ولده ، فذهبت وتفرقت بعد ما عانى أبوه ما عانى فى شرائهـا واستنساخها . وكان له ولع أيضاً بجمع الساعات فجمع منها نوادر وطرفاً بيعت بعد موته أيضاً ، ولم يترك شيئاً من الحطام سوى دار باسكندرية كان يسكنها فى أواخر أيامه وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شهر صفر سنة ١٢٩٤ ودفن يوم الثلاثاء ، ورثاه الشيخ عبـد الرحمن الابيارى قاضى اسكندرية بقصيدة مطلعها :

أهذى سيوف الدهر جرّدها الدهر
أم السنة الشهباء جفّ بهـا الزهر

ومن مؤلفاته كتاب تبويب الأشباه والنظائر لابن نجيم ، وشرع فى كتاب آخر فى الفقه لم يكمله ، وكانت له يد طولى فى علم الميقات ، وهو جدّ صاحبنا العالم الفاضل الشيخ حسن منصور لامّه .

أحمد تيمور